مستقبل قطاع التعليم في المناطق المحررة بعد كورونا

By: Ahmet Nasif **أحمد ناصيف**

تعتبر سوريا عمومًا مركز حضاري هام في منطقة الشرق الأوسط، وفيها وجدت أول أبجدية متكاملة في التاريخ وهي الأبجدية الأوغاريتية. تطور وتغير نظام التعليم فيها حسب الانظمة الحاكمة مرورا بالدولة الاموية حيث انشأت المدارس في دمشق وكان أشهر المدارس المدرسة السيمساطية التي تقع شمال الجامع الأموي، ثم العصر العباسي حيث كان أهم المراكز العلمية في تلك الفترة كانت في مدن دمشق وحلب وقنسرين والرها وغيرها من المدن السورية. الى العصر العثماني حيث نشط التعليم في الكتاتيب، قبل احداث 2011 في سورية حظي التعليم بالاهتمام والرعاية، إذ يكفل الدستور السوري حق التعلم لكل مواطن، وهو إلزامي ومجاني في مرحلة التعليم الأساسي.

في السنوات الاخيرة مرَ قطاع التعليم في سوريا بأيام عصيبة نتيجة الحرب الدائرة في البلاد، واعتمد التعليم في البلاد على الأسلوب التقليدي من خلال المدارس، ومع تفشي جائحة كورونا

هذا العام أغلقت المدارس في عموم البلاد ومنها المدارس في المناطق المحررة[1] (شمال غرب سوريا) حيث أغلقت 2,349 مدرسة منتشرة في المحرر أبوابها مما أثر على نحو 766,545 طالب فيها أي ما يعادل 100% من الطلاب المسجلين في المدارس بعموم المدن والقرى والمخيمات في المناطق المحررة، فاحدث ذلك تغييرا في طرق التعليم التقليدي ودفع نحو تحولات جذرية للبدائل مختلفة عن التعليم التقليدي لضمان استمرارية التعليم في المناطق المحررة، هذه التحولات أحدثت تغييرات في ثقافة المجتمع والطالب والمعلم في المنطقة وفتحت أفق جديدة للتعليم غير التقليدي، مما عزز إمكانية متابعة فئات متعددة لتعليمهم المدرسي والجامعي بعد أن كانوا متسربين بسب ظروفهم الخاصة، ومع توافر العديد من المقومات لنجاح طرق بديلة عن التعليم التقليدي هيئتها ظروف كورونا وظروف أخرى سياسية وإقليمية فلابد أن هناك تغيرات هامة في قطاع التعليم بعد كورونا ستحدث.

تتمحور المشكلة التي تتناولها الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي كيف سيتغير قطاع التعليم في المناطق المحررة بعد كورونا؟

وتنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية العلم ومخاطر الانقطاع عن التعليم وتفشي الجهل في المجتمع إضافة لخطورة إغفال دور بدائل التعليم التقليدي في ظل تفشي جائحة كورونا والأزمات والحروب على المجتمع ككل في المناطق المحررة.

التبني السريع للتعليم عن بعد:

شهدنا توجهاً غير مسبوقا من المدارس والجامعات في المحرر لتبني التعليم عن بعد كحل مؤقت في ظل كورونا، وهنا ظهرت في المناطق المحررة اشكاليات وصعوبات كثيرة بسب غياب مقومات نجاح التعليم عن بعد في هذه المناطق، هذه المقومات كانت غائبة عن طرفي العملية التعليمة المعلم والطالب وكذلك الوسط المحيط بهم وهو المجتمع ومؤسسات التعليم الرسمية، غياب التأهيل لدى المعلمين والتجهيزات الإلكترونية اللازمة لنقل الدروس والحصص، مقابل غياب التجهيزات والمعدات اللازمة لاستقبال والتفاعل من قبل الطلبة، إضافة لكونها ثقافة جديدة على أولياء الأمور كل هذه العوامل في بداية الأمر كانت عوامل فشل لهذه التجربة التعليمة في المحرر ،لكن سرعان ما تغير الوضع من خلال تدخلات المانحين والمنظمات والمؤسسات التعليمية الرسمية لتوفير المعدات والتجهيزات والتدريبات لضمان الحد الأدنى من مقومات استمرارية التعليم في المنطقة .في دراسة يجريها الباحث بعنوان مدى نجاعة التعليم عن بعد كبديل عن التعليم التقليدي في المناطق المحررة من وجهة نظر المعلمين ،حيث استهدفت الدراسة

[1] -يقصد بالمناطق المحررة في سوريا بانها المناطق الخارجة عن سيطرة النظام السوري، والتي تقع حالياً في شمال غرب سوريا وتضم مناطق شمال حلب وغرب حلب ومناطق من ادلب. والتي تسيطر عليها بشكل من الاشكال حكومة المعارضة.

800 معلم من مختلف المستويات التعليمية، أظهرت النتائج الأولية أن التعليم عن بعد في المحرر ناجح بدرجة متوسطة من وجهة نظر المعلمين فيها، و إذا ما قارنا هذه النتيجة مع نتائج الدراسات التي أجريت في العديد من الدول نجد أنها نتيجة مقبولة عموما، وأن التعليم عن بعد من البدائل الهامة للتعليم التقليدي في ظل كورونا بدول العالم بشكل عام وفي المحرر بشكل خاص .

الدور التركي في توفير مقومات نجاح التعليم:

لعب الأتراك دوراً هاماً في المناطق المحررة في سوريا وخصوصاً المنطقة الممتدة من عفرين الى الباب مرورا بإعزاز وجرابلس وغيرها حيث مدت المنطقة بشبكة من الكهرباء والماء والانترنت والطرقات، وأدى وجود القوات التركية الى منع قصف المدنيين في هذه المناطق مما مهد لعودة حركة البناء والتجارة، كما لعبت دوراً محورياً في العملية التعليمية من خلال افتتاح فروع لجامعات تركية في الداخل السوري وتنظيم التعليم الأساسي ومديريات التربية في المنطقة.

دور منظمات المجتمع المدني في دعم بدائل التعليم التقليدي:

منذ اللحظات الأولى لتوقف التعليم المدرسي في الشمال السوري المحرر بسب كورونا، سارعت المنظمات السورية التي تعلم في مجال التعليم بالتعاون مع المنظمات الدولية المانحة ومكاتب الأمم المتحدة، إلى التحرك لدراسة وتقييم الوضع والاحتياجات لضمان استمرارية التعليم، فقامت بمسح احتياجات الطلبة في المدن والقرى والمخيمات وكذلك احتياجات المعلمين، وتحركت الجامعات بتجاه شراء وتجهيز منصات للتعليم عن بعد، إضافة للدعم التركي والدولي المقدم، إن تضافر جهود الجميع نتج عنه استمرار التعليم في المناطق المحررة.

اكتساب الجيل الجديد مهارات تكنولوجية في مرحلة عمرية مبكرة:

بعد قضاء شهور من التعلم في المنزل خلال فترة إغلاق المدارس، أصبح الطلبة أكثر معرفة ودراية بأساليب التعليم التكنولوجي واستخدام التجهيزات والمعدات والبحث عبر الانترنت، ومتابعة الدروس التي تبثها المواقع والقنوات التلفزيونية، مما يعني أن الجيل الجديد سيتبنى مهارات تعليمية متقدمة للغاية في مرحلة عمرية مبكرة، وسيتمكنون من استخدام التعليم الإلكتروني والتعليم عبر النت بشكل جيد يمكنهم من استيعاب الدروس والتعلم السريع.

أهمية البدائل التعليمية في التخفيف من الآثار السلبية للتعليم التقليدي (التسرب - اكتظاظ الصفوف):

بسب اعداد النازحين والمهجرين فان المناطق المحررة تعاني من اكتظاظ سكاني كبير، الامر الذي انعكس سلبيا على المدارس حيث اكتظت الصفوف بالطلاب، كمان ان سوء الاحوال

المعيشة نتيجة طول فترة الصراع في سوريا دفع بعدد كبير من الطلاب للتسرب من مدراسهم بغية العمل ومساعدة عائلاتهم، إضافة الى عيوب التعليم التقليدي الذي يعتمد على اسلوب التلقين واهمال الانشطة التي تنمي المهارات والمواهب لدى الطلبة واهمال تنمية الميول والاتجاهات وطمس روح الابتكار لدى الطلبة، اضافة الى المناهج التعليمة الموضوعة من قبل تربويين بعيدا عن اشراك المعلمين، كما ان وجود اعداد كبيرة من الطلاب بقاعات الدراسة ادى لخفض قيمة التواصل بين الطالب والمعلم، من هنا بدأت تظهر اهمية البدائل للتعليم التقليدي حتى بعد انتهاء جائحة كورونا كحل للأثار السلبية للتعليم وكسبيل لاستمرار العملية التعليمة لكافة الطلبة في كافة المراحل التعليمة وباختلاف ظروفهم المعيشية والصحية .

ما الذي ينتظرنا في المستقبل

1- **تغيير في البنية التحتية التعليمية:**
ستكون المدارس في المحرر مستقبلاً تعتمد على أساليب التعليم الإلكتروني إلى جانب التعليم التقليدي، وسيتعزز استخدام المعدات والتقنيات الحديثة في المدراس.

2- **نمو البرامج التي تدعم القطاع التعليمي الإلكتروني:**
ستتوجه المنظمات الإنسانية السورية لدعم قطاع التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد من خلال توفير منصات خاصة بذلك.

3- **التوجه نحو بدائل التعليم التقليدي:**
سيكون لدى الطلاب فرص كثيرة لمتابعة تعليمهم الى جانب التعليم المدرسي مثل التعليم عن بعد، التعليم الليلي، التعليم الافتراضي، والتعليم المفتوح.

4- **تحسن مستوى الإقبال على متابعة التعلم في المحرر:**
تعدد أساليب وبدائل التعليم في المحرر ستعيد الطلاب المتسربين من المدراس لمتابعة تعليمهم باستخدام أنماط تعليمية تلائم ظروفهم وأهمهم الأطفال العاملون، وذوي الاحتياجات الخاصة حيث ستكون لهم برامج تعليم تلائم ظرفهم.

5- **دخول القطاع الخاص في التعليم:**
سيدخل القطاع الخاص مستقبلاً في التعليم في مناطق المحررة سواء الروضات الخاصة أو المدراس الخاصة التي تُعلم وفق المناهج الحديثة مثل مدارس مونتيسوري، وسينجذب الأطفال إلى المناهج الأجنبية الحديثة في التعليم البديل، لما تتسم به من قيم في ترسيخ ثقافة الثقة بالنفس وتعزيز المشاركة عند الطفل بشكل ديمقراطي، وإدخال عناصر تفاعلية جديدة في العملية التعليمة بعيدة عن الأسلوب النظري المعتمد على التلقين البحت.

6- **تحسين أشكال الاتصال والتفاعل بين المعلم والمتعلم في التعليم بالمناطق المحررة:**

سيتم اتباع وسائل اتصال تسمح لأطراف العملية التعليمية بالاتصال والتفاعل فيما بينهم بشكل أفضل، وسيتحول دور المعلم من مجرد ملقن للمعلومة إلى مشرف أكاديمي، سيكون المتعلم (الطالب) يملك مهارات للاتصال والتواصل وتبادل المعلومات مع المعلم بواسطة وسائل اتصال مختلفة (بريد الكتروني، واتس اب.. الخ).

7- تعدد الآليات التي تخلق الدافعية لدى الطلبة لمتابعة تعليمهم:

إن توفر العديد من البدائل التعليمية الرسمية في المناطق المحررة ستعزز الرغبة والاقبال على التعليم من قبل الطلبة وستدفع بهم إلى المشاركة في العملية التعليمية بفعالية واستمرارية حتى إكمال تعليمهم.

8- الاستثمار في التعليم عن بعد كسبيل لضمان متابعة الفتيات لتعليمهم الجامعي في المناطق المحررة:

إن اعتماد الجامعات في المناطق المحرر لنظام التعليم عن بعد بشكل رسمي سيعزز من فرص متابعة الفتيات تعليمهم الجامعي نتيجة انخفاض التكلفة التعليمية وكونه حلاً لبعض العادات والتقاليد في المناطق التي تمنع خروج الفتاة للجامعة.

9- تحسن مستوى الكفاءة التدريسية للمعلمين بالمناطق المحررة:

ستتحسن القدرات والمعارف والمهارات التي يمتلكها أعضاء هيئة التدريس في المحرر وسيكونون أكثر كفاءة في التنفيذ والأهداف والأساليب التدريسية نتيجة امتلاكهم لمهارات جديدة تتناسب مع التعليم عن بعد والتعليم الالكتروني والاطلاع الموسع عن أساليب التعليم الحديثة.

10- تحسن فعالية إدارة الوقت داخل الدروس وتعزيز التزام المتلقي:

فرضَ التعليم عن بعد على المعلمين البحث في أساليب جديدة وأكثر فعالية في إدارة وقت الدرس وجذب انتباه ومتابعة والتزام المتلقي (الطالب)، والبعد عن الحشو والاهتمام بتنظيم الدروس في أطر علمية يراعى فيها التماسك والترابط وحسن الترتيب والتسلسل والتكامل بين الموضوعات لتجنب التشويش وتشتيت المتلقي لضمان التزامه ومتابعته للدروس.

11- تفعيل دور وزارة التربية والتعليم:

سيكون أمام الوزارة تحدّ للعب دور أكبر في العملية التعليمية في المحرر لمواكبة التغيرات التي تجري في التعليم وستكون مجبرةً على الاعتراف ببدائل التعليم التقليدي في المنطقة كتعليم رسمي معترف به يضمن خفض مستوى الأميّة في المناطق المحررة.

12-زيادة أعداد حملة شهادة الدراسات العليا:

ستشهد السنوات القادمة زيادة ملحوظة من خريجي الدراسات العليا (الماجستير الدكتوراه) في المناطق المحررة سواء من خلال برامج التعليم الجامعي التقليدي أو التعليم عن بعد.

13-زيادة الاهتمام بالبحث العلمي وانتشاره:

سيتأثر التعليم العالي في المنطقة بالثقافة التركية التعليمية التي تنشر الباحثين المفرغين أو المتعاقدين في الجامعات والمراكز البحثية والمشافي وغيرها وسيكون حملة الشهادات العليا النواة التي سيبنى عليها.

14-ظهور المجلات العلمية:

المجلات العلمية هي نوع من المجلات وبمكن تعريفها بانها نشره منتظمة ودوريه تختص بنشر ابحاث علميه متخصصة في مجال علمي محدد وذلك بعد ان تمر تلك الابحاث من خلال مراحل كثيره قبل النشر من تلك المراحل ما يعرف بعمليه التحكيم من قبل لجنه متخصصة في نفس مجال البحوث المراد نشرها[2]. وهذه المجلات ستكون تابعة لجامعات، منظمات مجتمع مدني، مراكز دراسات او مجلات خاصة، وهذا سيعزز النتاج الفكري في المناطق المحررة ويحفز الحركة الثقافية.

15- **نشاط المؤتمرات العلمية:**

يجتمع في المؤتمر العلمي عدد من الباحثين (الأكاديميين أو غير الأكاديميين) لعرض ومناقشة أعمالهم ونتائج أبحاثهم، وتعتبر المؤتمرات العلمية إضافة إلى المجلات العلمية المحكمة المنصات الأكثر انتشاراً في العرف الأكاديمي لنشر الأبحاث وعرض ومناقشة النتائج، ويختلف المؤتمر عن الندوة العملية في أن عدد المشاركات عادة ما يكون أكبر، كما أن المشاركات المطروحة في الندوة عادة ما تتنمي لموضوع واحد محدد بينما يغطي المؤتمر مجالاً أوسع وعدداً من المواضيع المترابطة، ويختلف المؤتمر أيضاً عن ورشة العمل في نوعية المواضيع المطروحة، حيث تغطي ورشة العمل في العادة موضوعاً واحداً محدداً وكثيراً ما تكون المشاركات فيه ذات طابع تطبيقي[3].ستكون هذه المؤتمرات تحت رعاية جامعات منتشرة في المنطقة وجامعات من دول اخرى وستكون نتاج تعاون بين القطاع التعليمي والمنظمات الإنسانية السورية ومراكز بحث محلية ودولية.

2- ar.wikipedia.org

3- ar.wikipedia.org

16- تنظيم الكتاتيب:

الكُتاب بضم الكاف وتشديد التاء، يمثل موضع تعليم الكتابة والتجويد وجمعه الكتاتيب وغالبا ما يكون هذا الموضع في المساجد أو غرفة في منزل تبنى خصيصا للتعليم القرآني والكتابة وتعتبر الكتاتيب أدنى مؤسسة في التعليم الإسلامي. بعد تنظيم دائرة الأوقاف في المناطق المحررة وتفعيل دورها وتوحيد نهجها ستكون نشاطات الكتاتيب موحدة الاساليب والطرق التدريسية والمناهج فيها.

وأخيراً

إرادة الحياة، هي إرادة لبلوغ حد أعلى في الحياة، إن البذور الجافة تبقى محتفظة بقوة حياة كامنة فيها ثلاث ألاف سنة وعندما تصادف الظروف المناسبة تنمو لتعطي أجود الثمار والمحصول.

لتحقيق انتقال أفضل وسلس لمستقبل أبنائنا التعليمي لنعمل معاً من خلال إنشاء خلية أزمة لإدارة ملف التعليم مكونة من ممثلين عن أولياء الأمور والهيئات التدريسية ومؤسسات الحكومة ومنظمات المجتمع المدني العاملة في حقل التعليم.

اليوم أنسب وقت للاستفادة من التجربة الحالية والبناء عليها، فقد وفرت تجربة التعليم في ظل كورونا أفاقاً جديدة تبشر بكثير من الآمال نحو مستقبل تعليمي واعد والتطلع نحو ما هو أعمق.

تكفل الدساتير والقوانين الإنسانية في العالم حق التعليم للفرد **فلنعمل معاً لتوفير فرص التعليم من أجل الجميع**.